

أنساق العنف في رواية "طير الليل" للروائي عمارة لخص
- قراءة ثقافية -

Patterns of violence in the novel "Birds of the Night" by the novelist Amara Lakhous
- a cultural reading-

بوحريرة فاطمة

Bouharira Fatma

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم (الجزائر)، fatimabouharira.arab@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/05/31

تاريخ القبول: 2026/04/24

تاريخ الاستلام: 2025/10/22

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل وتفكيك أيديولوجيا العنف في المجتمع الجزائري، وكيف تجلى في رواية "طير الليل" للروائي "عمارة لخص"، وفق آليات منهج النقد الثقافي، كونه منهجا يعنى بتشريح النصوص الأدبية في أطرها المختلفة، وتأتي هذه الدراسة لاستكشاف أنساق العنف وتظاهراته المختلفة، بوصفه تيمة في هذه الرواية، والكشف عن آلياته وخلفياته ومدى تأثيرها في جسد الرواية. وبناءً على ذلك، فقد تم بداية عرض مفاهيم أساسية حول النسق والعنف، ومن ثم استخراج أهم أنساق العنف التي ضمنتها الرواية، وخاتمة ضمت نتائج الدراسة. **كلمات مفتاحية:** ثقافة العنف؛ رواية طير الليل؛ النسق؛ العنف السلطوي؛ عمارة لخص.

Abstract

This study aims to analyze and dismantle the ideology of violence in Algerian society, and how it manifested itself in the novel "Birds of the Night" by the novelist "Ammara Lakhous". According to the mechanisms of the cultural criticism approach, this study comes to denounce the patterns of violence and its various manifestations, revealing its mechanisms, backgrounds and the extent of their impact on the novel body. Accordingly, basic concepts about patterns and violence were first presented, then the most important patterns of violence included in the novel were extracted, to finely conclude with the study results.

Keywords: culture of violence; Night Bird novel; format; authoritarian violence; Amara Lakhous.

المؤلف المرسل: بوحريرة فاطمة، الإيميل: fatimabouharira.arab@gmail.com

1. مقدمة:

تعد الرواية من أهم الأجناس السردية الإبداعية الحاملة للعديد من المعارف والفنون، فهي أكثر الأجناس تعبيرا عن الواقع لاحتوائها هموم الإنسان ومختلف آماله وآلامه وتطلعاته، فقد استطاعت أن تحمل في طياتها مختلف التحولات المتعلقة بجوانب الحياة، ولم تتخلف الرواية الجزائرية كغيرها من الروايات العالمية؛ إذ واكبت مختلف التقلبات السياسية والاجتماعية والثقافية التي أصابت المجتمع الجزائري بحكم الظروف والعوامل، فعكفت على تشخيص العديد من المشكلات والأزمات ومعالجتها، بمنظورات مختلفة ومتباينة تعكس رؤى الكتاب الجزائريين ومواقفهم الفكرية والثقافية والفنية.

ولعل من أبرز هذه المشكلات أو الظواهر "ظاهرة العنف" التي شغلت حيزًا معتبرا داخل الرواية الجزائرية، إذ شكّلت مرجعية لمعظم المتون الروائية، حيث قدّمت هذه الظاهرة مادة دسمة للروائي الجزائري الذي عبّر عنها بأساليب مختلفة؛ فطرقت أزمة العنف بالتحليل والمناقشة، وتفكيك بنيته العميقة المرتبطة بالظاهرة الاستعمارية وظاهرة العولمة وتداعياتهما على الراهن الجزائري في شتى المجالات الاجتماعية والأخلاقية والسياسية واللغوية.

ولم يكن هذا الموضوع ليخفى على المبدع الجزائري "عمارة لخص" خاصة وأنه من جيل الشباب، الذي عاش العنف ورفضه وقدمه في أعماله الروائية ليعبر عن واقع أليم وعنيف، مبتغيًا من ورائه التغيّر نحو الأفضل. ومن هذا المنطلق حاولنا الكشف عن أنساق العنف وتفكيك بنيته في إحدى رواياته، فاخترنا رواية "طير الليل" بوصفه . العنف - تيمة في هذه الرواية، وقد اقتضت طبيعة الدراسة طرح الأسئلة الآتية: كيف تمظهرت أنساق العنف في رواية "طير الليل"؟ وما مدى تأثير هذه الأنساق العنيفة على نسيج الرواية؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، فقد اضطلعت الدراسة بالوقوف عند مفهومي النسق والعنف، ومن ثم استخراج أهم أنساق العنف والتي تمثلت في العنف اللغوي والجسدي والنفسي، عنف الاستعمار، والعنف السلطوي، وخاتمة تضم أهم نتائج الدراسة.

2. مهاد نظري:

1.2 النسق:

لقد وردت لفظة "النسق" في أغلب المعاجم العربية، إذ عرّفه ابن منظور بقوله: "النسق من كل شيء: ما كان على طريقة نظام واحد، عامّ في الأشياء، وقد نسّقته تنسيقًا، ويخففه ابن سيدة نسق الشيء ينسقه نسقا ونسقه نظمته على السواء، وانتسق وتناسق، والاسم النسق، والتنسيق: التنظيم، والنسق: ما جاء من الكلام على نظام واحد" (ابن

منظور، 1990، صفحة 352 . 353). وفي القاموس المحيط: "نسق الكلام: عطف بعضه على بعض، والنسق، محرّكة، ما كان من الكلام على نظام واحد، وأنسق تكلم سجعاً، والتنسيق: التنظيم، وناسق بينهما: تابع" (آبادي، 2008، صفحة 1606).

ولا يختلف هذا المعنى عند الزمخشري في تعريفه للنسق، إذ يقول: "نسق الدّر وغيره ونسقه، ودّر منسوق، وقد تناسق كلامه، وجاء على نسق ونظام، وثغر نسق، وقام القوم نسقا، ويقال لكواكب الجوزاء النسق" (أبو القاسم بن عمر الزمخشري، 1979، صفحة 266).

فمن خلال هذه التعريفات يتبيّن لنا أنّ النسق في كلام العرب كان معروفاً ومتداولاً بينهم، وهو ما يصب في معنى النظام والتنظيم والترتيب.

أما في المعنى الاصطلاحي، فقد تعدّدت تعريفات النسق وتتنوع حسب مرجعيته، فنجد عبد الله الغدّامي يذهب إلى استخدامه في الخطاب، مشيراً إلى مفهومه بقوله: "يجري استخدام كلمة نسق كثيراً في الخطاب العام والخاص، ويشيع في الكتابات إلى درجة قد تشوه دلالتها، وتبدأ بسيطة كأن تعني ما كان على نظام واحد. كما في تعريف معجم الوسيط. وقد تأتي مرادفة لمعنى "البنية/cturstrue" أو "النظام/system" حسب مصطلح دي سوسير، واجتهد باحثون عرب في تصميم مفهومهم الخاص للنسق" (عبد الله الغدّامي، 2005، صفحة 76).

ويعرف محمد مفتاح النسق قائلاً: "مهما اختلفت تعريفات النسق، فإنّه ما كان مؤلفاً من جملة عناصر أو أجزاء مترابطة فيما بينها وتتعلق لتكون تنظيمًا هادفاً إلى غاية، وهذا التحديد يؤدي إلى نتائج عديدة" (محمد مفتاح، 2000، صفحة 49). ففهم من هذا التعريف أنّ النسق بمثابة نظام أو تنظيم يتكون من مجموعة عناصر أو أجزاء مترابطة برابطة عضوية، هادفة لغاية، وهذه الغاية هي موضوع النقد الثقافي التي يهدف إلى تحليلها وإيجاد أبعادها الثقافية.

وليس شرطاً أن يكون المؤلف واعياً بهذا النسق وحدوده، لأنّه ينجز نفسه عبر فعل الكتابة، وكونه بمثابة دلالة مضمرة ومنغرس في الخطاب، ومؤلفها الأول هو الثقافة ذاتها، أو كما يصفها عبد الله الغدّامي "المؤلف المضمّر" (عبد الله الغدّامي، 2005، صفحة 75.79).

2.2 العنف:

عندما نعود إلى المعاجم العربية نجد أنّ كلمة "عنف" مشتقة من الجذر اللغوي الثلاثي "ع، ن، ف" وهو الخرق بالأمر، وقلة الرفق به، وهو ضدّ الرفق، وأعنف الشيء إذا أخذه بشدة" (ابن منظور، صفحة 257). فالعنف

في اللغة العربية يشمل كل فعل أو سلوك يصاحبه قسوة وحدة في المعاملة أو ما يتضمن استخداما فعلياً للقوة المادية وغيرها.

أما من الناحية الاصطلاحية، فالعنف مسألة معقدة تتعدى المجال الاجتماعي والسياسي لتشمل كل عمل قولي أو فعلي يستخدم القوة أو يهدد باستخدامها لإلحاق الضرر والأذى بالذات، أو بالأشخاص الآخرين، وتخريب الممتلكات للتأثير على إرادة المستهدف" (الشريف حبيلة، 2010، صفحة 11). فهو نشاط يشمل مجموعة من الأقوال والأفعال تضم ممارسة القوة، الإيذاء البدني والنفسي والجنسي، الاستعلاء والتحقير، تقييد الحرية، التضليل وحجب المعرفة، والتشويه، كما قد يكون أيضاً فعالاً وضرورياً، حيث تشير حنة أرندت إلى "الدور العظيم الذي يلعبه العنف، دائماً، في شؤون البشر" (أرندت، 1992، صفحة 10)

ويعرّفه بيير فيو Pierre Fiou بأنه "ضغط جسدي أو معنوي ذو طابع فردي أو جماعي، ينزله الإنسان بالإنسان" (بيير فيو، د.ت، صفحة 138). ونجد له تعريفاً أكثر دقة لدى باربارا وبيتر Barbara Witmer التي ترى بأنّ العنف "تعبير ضروري عند الغضب الذي يفسّر بأنه عدوان، أنه دافع فطري أو تدميره بوصفه إرادة، قوة، شجاعة" (مليكه حيمر، 2019، صفحة 343). وبهذا لا يخرج مفهوم العنف كسلوك عن السلوكيات العدوانية والتخريبية التي تلحق ضرراً بالشخص سواء كان معنوياً أو مادياً.

3. تجليات أنساق العنف في رواية طير الليل:

1.3 العنف اللغوي والجسدي:

إنّ القارئ لرواية "طير الليل" يجد أنّها تفاعلت مع خطاب العنف انطلاقاً من الشخصيات التي وظفها الروائي والتي أسهمت في صناعة العنف ورسم مجرياته، فضلاً عن توظيف الخطابات الفكرية والتاريخية والسياسية التي عرضتها الرواية لتستوعبها وتحاكيها أو تعارضها أو تتهمك عليها أو تسخر منها أو تنتقدها، بل تفاعلت معه بوصفه أسلوباً يشكّل بنية النص السردي حتى أصبح متخيلاً للعنف.

فمن بداية الرواية تحضر المادة العنفية قوية متدفقة في شرايين السرد جميعاً "إن العنف كان البداية" (عمارة لخص، 2019، صفحة 7)، وكان الاحتفال بيوم الاستقلال الخامس من جويلية 2018 على موعد مع مسرح الجريمة، وشاهداً على فظاعتها "كان القتل عارياً، مقيد اليدين والقدمين وسط خليط من الدم والبول والبراز... فرأى أرنبه الأنف على الصدر، وعلامات الذبح من الوريد إلى الوريد" (عمارة لخص، 2019، صفحة 26).

كانت هذه أول مظاهر العنف المتوحش في معجم النص الروائي الذي تخترقه خنجر الكلمات من كل جانب وتلقي عليه بكله حتى لا نكاد نقرأ إلا عبارات الموت والقتل بآلة القهر النفسي والجسدي واللفظي "ذاق رشيد

طانية، 2018، صفحة 167). ما يعزى بتكثيف فرضيات التخفف من هذا الوزر لدى الشعوب المستعمرة والعالم الثالث عامة.

ارتبط نسق العنف في الجزائر بنسق الاستعمار، هذا الارتباط المعقد أشار إليه الباحث والطبيب النفسي" فرانز فانون Frantz Fanon"، أين قام بتحليله وتفكيكه، مستثمرا في ذلك آليات التحليل النفسي في تفويض مركزية الاستعمار ومقولاته وأفكاره، حتى يتمكن الإنسان المستعمر من استرجاع حقوقه المسلوبة وإعادة ترميم هويته، والتحرر الكامل من الاستعمار وجراحاته التاريخية، والذي لا يكون في نظره إلا عن طريق العنف، ذلك أن الاستعمار الفرنسي احتل الجزائر وغيرها من بلدان المغرب العربي وأفريقيا بالشدة والقوة والعنف، ولطالما أن الحرية تأخذ ولا تعطى، فإن الانتعاق والتحرر من عبودية الاستعمار ووحشيته يستلزم ردة فعل قوية ومماثلة، حيث يقول: "إن محو الاستعمار إنما هو حدث عنيف دائما...إن محو الاستعمار...إنما هو إحلال نوع إنساني محل نوع إنساني آخر إحلالا كليًا مطلقا، بلا مراحل إنتقال" (فرانز فانون، 2015، صفحة 39) .

لذلك يجب على المستعمر أن يحل محل "الآخر" المستعمر العدو، ويموقع نفسه مكانه، وأن يمارس الوسائل والآليات العنيفة ذاتها التي مورست في حقه، ويستخدمها ضد هذا الاستعمار، وبالأحرى هنا، عليه أن يحذو حذو الآخر في القوة والعنف لكي يتحرر تحررا كاملا، وهذا لا يتسنى له إلا بالتمرد والثورة عليه.

هذه الفكرة نملسها في الرواية من خلال شخصية "زهرة" المجاهدة التي عملت مع جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة التحريرية ضد الاستعمار الفرنسي، وهي تقوم بعملية فدائية " لم تتردد زهرة لحظة واحدة أخذت الخنجر اقتربت من الخائن وطعنته في البطن ثلاث مرات، فأردته قتيلا" (الرواية، صفحة 39).

فألفاظ "لم تتردد، الخنجر، طعنته، قتيلا" كلها توحى بنسق القوة والعنف من أجل استعادة الحق واسترداد الاستقلال والحرية، لأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وأن استخدام العنف لا يولد إلا العنف، كما يقول فرانز فانون "إن الإنسان المستعمر يتحرر في العنف وبالعنف" (فرانز فانون، 2015، صفحة 78)، وفي هذه الحالة أدرك الجزائري قيمته وقيمة العنف الذي مورس عليه حتى كانت ردة فعله قوية ومستمرة.

وقد أكد عمارة لخص هذه الفكرة على لسان أحد شخصوه العقيد كريم سلطاني - يعمل في خلية التحقيق لمحاربة الإرهاب والجريمة - أن أصناف العنف التي يعاني منها الشعب الجزائري تعود بالدرجة الأولى إلى ندوب الاستعمار الإجرامية التي خلفها في نفوس الجزائريين؛ إذ يقول: "عنف الاستعمار هو المتسبب الوحيد في أشكال العنف الأخرى كلها، بما فيها عنف الجزائري ضد أخيه. المصائب كلها مصدرها واحد هو الاستعمار" (الرواية، صفحة 110).

عمل الاستعمار الفرنسي على صناعة العنف وبثه في نوات الجزائريين من المجاهدين والثوار الذين ذاقوا ويلات التعذيب النفسي والجسدي والتقتيل، وهذا ما ولد في نفوسهم نزعات القهر والنقص والعنف، فتحول الفرد الجزائري من ضحية إلى جالّد يمارس أشكال التعذيب على أخيه الجزائري حتى بعد استقلال الجزائر، وقد ظهر هذا جليا في نص الرواية على لسان السارد" ذاق إدريس طعم التعذيب في الجزائر المستقلة ما لم يذقه على يد

الفرنسيين، وكان المشرف على التعذيب مجاهدا اسمه مسعود، وكنيته المحروق، وقد عذب على يد الجنود الفرنسيين تعذبا شنيعا. كان نصف جسده محروقا، وصار يتقانى في أساليب التعذيب وطرق الاستتطاق" (الرواية، صفحة 97).

تكشف هذه الممارسة التقليدية للضحية/المستعمر لجلاديه/المستمر عن أنساق النقص والخوف والذل والقسوة التي عرفوها على يد معذبيهم وجلاديههم، لأنّ العنف الذي تعرض له الجزائري لا تزال ندوبه وآثاره قابعة في ذاته، ولم يتحرر منها، ولكي يتخلص من هذه الندوب والسموم العنيفة، فلا بد من تفرغ ونظام تعويض، فيبحث الإنسان المعنف "المستعمر" عن ضحية أخرى يمارس عليها العنف، للتحرر من تبعاته ونتائج النفسية والعقلية، فالعنف حسب فارنز فانون " يطهر الأفراد من السموم، إنه يخلص المستعمر من مركب النقص الذي يعيث في نفسه فسادا، ويحرره من موقف المشاهد أو البائس، إنه يرد إليه شجاعته، ويرد إليه اعتباره في نفسه...إنّ العنف يرفع الشعب إلى مستوى القائد" (فارنز فانون، 2015، صفحة 83).

فالشعوب المستعمرة لا يمكن لها التحرر الكامل إلا بممارسة العنف الذي مورس عليها، فيرفع عنها بذلك ظلاله السوداء القاسية من ذل ونقص وفساد نفسي وعقلي، فيزد لها الاعتبار والثقة بالذات، وإلا انقلب هذا العنف على ذاتها، وهذا ما لمسناه في الرواية مع شخصية "مسعود" المجاهد الذي عذب مواطنه "إدريس طالبي"، أين حوّل مقاساته من العنف النفسي والجسدي الذي تعرض له من قبل الاستعمار الفرنسي نحو أبناء جلدته، والأمر ذاته حدث لـ"عباس آبادي" الذي عذب تعذبا عنيفا من قبل أفراد جبهة التحرير الوطني زعمًا خيانتة أمانة الوطن وإخوانه المجاهدين، فـ " رأى عباس بادي الخنجر البوسعادي يقترب منه أكثر فأكثر فبلع ريقه...لم يحس بالألم في رقبته وإنما في أنفه شعر بالدم يسيل بغزارة على شفتيه" (الرواية، صفحة 23).

لقد أضحى العنف نسقا متجدرا في اللاوعي الجزائريين بسبب الاستعمار الفرنسي وأساليبه الوحشية، يثار على حين موعّد، يثير عواطفهم وآراءهم وأفكارهم السياسية والاجتماعية فيما بينهم، مما يدفعهم إلى العنف غير المبرر، وهذا ما نتج عنه حرب أهلية دامية جعلت البلاد تسبح في بحر من الدماء والجثث، ورد هذا في الرواية على لسان إدريس طالبي عندما أشار إلى تركة الإرهاب في الجزائر " الخسائر البشرية تتراوح ما بين 150 ألف و200 ألف قتيل.أضف إلى ذلك آلاف المفقودين. أما الخسائر المادية، فتصل إلى عشرين مليار دولار، فاتورة باهضة مرعبة. هل يمكن تنظيف الذاكرة من القتل الأعمى البشع... " (الرواية، صفحة 245)

هذا العنف الذي انتقل وترى بين الجزائريين، خلق الحقد والكره للآخر وحب القتل والجريمة متوارثا ومستمرا. وهذا ما عملت الرواية على تصويره في أحيائين كثيرة " في التسعينيات عندما اشتد الإرهاب، وأصبح الجزائريون يفجّرون الجزائريين، كانت العبوات الناسفة توضع في الأماكن العامة المزدحمة بالناس كالأسواق والمحطات. ذات مرة استجوب - العقيد - إرهابيا بعد تفجير سيارة مفخخة في سوق شعبي، اعترف بمسؤوليته في أكثر من عملية " (الرواية، صفحة 136).

إنّها أيديولوجية العنف التي بثها الاستعمار في الجزائر التي جعلت الجزائريين يسبحون في معارك دماء إخوانهم، مما جعل شخصية أستاذ التاريخ الفرنسي "رونرو" يؤكد على أنّ الجزائر صارت "فردوس قابيل" (الرواية، صفحة 232).

3.3 العنف السلطوي:

بنيت رواية "طير الليل" على موضوعة العنف، لكن هذه الأخيرة لم ترتبط بزمان الاحتلال الفرنسي على الجزائر والحرب الأهلية التي عصفت بالبلاد فحسب، وإنما ارتبطت ارتباطا وثيقا بعنف السلطة، حيث "ينظر إلى العنف باعتباره لاشيء أكثر من التجلي الأكثر بروزا، فكل سياسة إنما هي صراع من أجل السلطة، والعنف هو أقصى درجات السلطة" (أرندت، 1992، صفحة 31). وتمثّل شخصية "ميلود صبري" المدعو "طير الليل" في الرواية نمودجا مثاليا في عنف السلطة، والذي تجلّى من خلال تعاملاته وممارساته الماكرة مع الآخر من أجل قضاء مصالحه الشخصية " المال والسلطة يفتحان الأبواب جميعها... من الأفضل الاستعانة بالجزرة مرة، بل مرات وإذا لم تتفع فعندئذ العصا لمن عصا" (الرواية، صفحة 13).

هكذا هي أساليب تعامل الأنظمة السلطوية خاصة مع شعوبهم القائمة على القمع والعنف وعدم احترام آرائهم وأفكارهم الناقدة والرافضة لهم، فكل من يقف في وجه هذه السلطة ومصالحها سيواجه حتما التعذيب أو النفي أو الموت قتلا.

ويرتبط بعنف السلطة، كذلك السلطة المضادة (الإرهاب) اللذان حولا الجغرافيا الداخلية إلى كمين يتربص بالجميع، كما نعني كذلك عنف الثقافة في كل أشكاله وقيمه المادية والمعنوية، وهو ما لم يتقبله غالبية الأفراد، فبدأ تفكيرهم في ترك المكان والهجرة إلى فضاء آخر أكثر رحابة، فالعنف يشعر الذوات بحالة من الاضطهاد، "فالحقرة (الظلم) خطوة خطيرة نحو الحقرة (الهجرة) والحرقة تعبيرا عن التعاسة التي يحياها الفرد في المجتمع" (محمد شوقي الزين، 2012، صفحة 181).

ولعل شخصية الصحفي والرسام الكاريكاتوري "رشيد قادري" مثال على ذلك، فبعد مقتل زوجته "سعاد" قرّر رشيد قادري الهجرة إلى باريس، مقنعا نفسه أنه لابد من الرحيل من هذا البلد بسرعة، ولا أمل في البقاء، وهذا ما ورد على لسان السارد "في آخر ليلة قبل سفره، شرب حتى الثمالة، وبكى على أنغام الشاب حسني الذي اغتيل وهو في ربيع السادس والعشرين... بكى رشيد بحرقة على حبيبته سعاد التي لم يشبع من حبّها، وعلى ابنته الرضيعة زهور التي تركها، بكى على نفسه وشبابه، وعلى الجزائر التي مرّغوا بها التراب، وجعلوها مهزلة" (الرواية، صفحة 226 . 227). فانسداد الأفق أجبر ذاته المقهورة على استبداله بفضاء الغربة.

كان "رشيد قادري" مهيدا كبقية الصحفيين والمثقفين في زمن الإرهاب، وبمقتل زوجته سعاد سنة 1998، أصيب "رشيد قادري" بانهايار عصبي، وصار مريضاً مدمناً على الأدوية كلّما اشتد عليه المرض، كان صديقه إدريس يأخذه إلى عباس في تمرّاست المنفي هو الآخر من بطش وعنف رجال السلطة والسياسة، أين يقضي هناك

أسابيع في الصحراء حتى يتحسن وضعه، ثم يعود إلى وهران لاستئناف المعركة، كان رشيد يتلقى الكثير من رسائل المعجبين الذين يشكرونه ويحتونونه على الاستمرار مع التزام الحذر والاصطدام، فلم يرغب في التخلي عن قرائه، في إحدى المرات قالت له سيدة وهي تبحث عنه في الجريدة "لا أتحمل بشاعة هذا البلد، لولا رسوماتك التي تخفف عن قلبي كل صباح" (الرواية، صفحة 248).

وبهذا أضحى المثقف ضحية لرهاب السلطة الذي "اغتاله جسدياً ودأب على إسكات صوته بالترهيب والتخويف؛ فلاذ بالصمت والصبر حيناً، والمداراة حين آخر، والمنفى القسري حيناً ثالثة" (سيدي محمد بن مالك، 2016، صفحة 37)، وما رشيد قادري إلا نموذج من هذا الجانب الذي يتعرض له المثقفين اتجاه الأنظمة السياسية القمعية في الوطن العربي.

وفي السياق ذاته، طرحت الرواية قضية صراع أيديولوجية المثقف مع السلطة، ونجد هذا ممثلاً في شخصية المحامي "إدريس طالبي" كمثقف وحامل مشعل الثورة والمبادئ الوطنية ضد شخصية "ميلود صبري" صهره كرجل سياسي انتهازي، وتجلى هذا الصراع بينهما في مواضع متعددة من النص، وقد كان صراعا أيديولوجيا عنيفا. ويتجلى العنف السياسي أو السلطوي في الرواية أيضاً، من خلال الانقلاب الذي قام به الجيش بقيادة هوارى بومدين على الرئيس أحمد بن بلة الذي كان يحكم البلاد في تلك الفترة، وهذا ما أشار إليه السارد بقوله: "أن العقيد بومدين انقلب على بن بلة بسبب انفراد هذا الأخير بالسلطة، ثم ماذا فعل الزعيم الجديد ومجلس لقيادة الثورة سوى حل المؤسسات الموجودة مثل البرلمان واحتكار كل شيء؟ ولماذا وضع بن بلة في السجن لأكثر من عشر سنوات بلا محاكمة؟" (الرواية، صفحة 117).

إن ألفاظ "انقلب، السجن، انفراد بالسلطة" توحى بالعنف السياسي أو السلطوي، فحكم بومدين الذي ساد في تلك الفترة كان له معارضين يريدون الحكم بيد المدنيين لا العسكريين. ولقد خلق هذا الصراع السياسي الأيديولوجي خلافات وسجلات قوية بين أفراد الشعب الجزائري، فانقسموا بين مؤيد ومعارض.

كما تظهر العنف السلطوي مرتبطاً بقضايا فساد من العيار الثقيل التي استنزفت البلاد، وذلك بضلوع شخصيات سياسية وإدارية نافذة من هرم السلطة في قضايا المخدرات والكوكايين والاستثمار في العقار بنفوذهم وعلاقاتهم، وهذا ما أثار استياء وغضب شخصية المحامي والمجاهد إدريس طالبي بصوت يشوبه التشاؤم " الجزائر بلد الشهداء صارت بلد الكوكايين، يا حضارات... هناك قرائن عديدة تلمح إلى تورط شخصيات نافذة في هذه الفضيحة، فهل سيتحلى المحققون والقضاة بالشجاعة لمعاقبة الجناة أم سينتهي الأمر عند التضحية بأكباش فداء؟ هل ستمكن الحيتان الكبيرة من الإفلات من شبكة القضاة كالمرات السابقة؟" (الرواية، صفحة 108. 109).

ولم يقف السارد عند هذا الحد، إذ عمد في مواطن كثيرة من الرواية إلى فضح هذا الفساد المنهج، وكأنا إزاء مافيا بغطاء قانوني " فكر العقيد في أمر طارق الذي لم يتجاوز عمره الخامسة والثلاثين إلا أن نجمه قد سطع في سماء الفساد... تحت غطاء الاستثمارات. الكثير ممن يسمون أنفسهم مستثمرين مثل ابن العميد ليسوا شركاء برؤساء أموالهم بل بنفوذهم وعلاقاتهم. الاستثمار في العقار والمخدرات نقلة نوعية في تاريخ العصابات" (الرواية،

صفحة 163). أما الشعب فيعيش وضعًا اجتماعيًا مزريًا خانقًا، فبرزت على السطح بعض مظاهر الرفض والتذمر في أوساطه رغم آلة القمع والبطش، بسبب تلاعبات السلطة الماكرة وكثرة النهب والاختلاس من الأموال العمومية حسب ما عبّرت عنه شخصية إدريس طالبي بملفوظها " أولاد الحرام... وضعوا الشعب في القفص، والآن يجوعونه" (الرواية، صفحة 150).

هذا الوضع المزري الذي آلت إليه البلاد، جعل من شخصية عباس أبادي في النص تتساءل حول طبيعة الحكم ما بعد الاستقلال "هل تحوّل الحكام الجدد إلى مستعمرين جدد؟ هل صاروا ينافسونهم في البطش والقهر والاضطهاد والتعذيب؟" (الرواية، صفحة 100)، بل هناك من شكك حتى في استقلال الجزائر، ف "الجزائر لم تستقل أبدًا، ما تزال مستعمرة، رحل المستعمرون الأجانب وحلّ محلّهم أبناء جلدتهم، يا حضارات" (الرواية، صفحة 106). لقد استطاع النص الروائي للخصي الإشارة إلى "عنف السلطة وتعرية ممارستها القهرية... فوجدها رمزاً للعنف وتشجيعاً له" (الشريف حبيلة، 2010، صفحة 165).

4. خاتمة:

في خلاصة هذه الدراسة، نوجز النتائج الآتية:

- لقد تفاعلت رواية "طير الليل" مع خطاب العنف عبر توظيف الخطابات السياسية والتاريخية والأيدولوجية وكذا أدب الجريمة والذي شكّل بنية النص السردي حتى أصبح متخيلاً للعنف.
- سجّلت تيمة "العنف" حضوراً فعالاً في رواية "طير الليل"، وأصبحت نسقا مهيمنا، في التعبير عن أزمة الإنسان الجزائري، وفضاء دلالي للشروح النفسية والسياسية والتاريخية داخل بنية المجتمع الجزائري.
- شغل نسق العنف بمختلف أشكاله حيّزا معتبرا من نسيج النص أين كشفت الرواية عن أسبابه التاريخية والسياسية (الاستعمار والسلطة) والذي تحوّل إلى نسق ثقافي مضمّر في اللاوعي المجتمع الجزائري.
- سعى نص "طير الليل" إلى إبراز خطاب مغاير ومختلف يسعى إلى تفكيك أنظمة العنف التاريخي والسلطوي من خلال مساعلة شخصيات الرواية واستغرابها عمّا يحدث في الواقع الجزائري.
- سعت رواية "طير الليل" إلى إبراز تأثيرات العنف على الذاكرة المشوهة التي أثقلت متاهات الإرهاب والأزمات السياسية والاجتماعية، كما وقفت على واقع عنف الراهن وعيبيته.
- لقد وُفّق الروائي "عمارة لخص" إلى حدّ كبير في الجمع بين الفني والتاريخي والأيدولوجي والاجتماعي والبوليسي، حيث نقل من خلاله الصراعات السياسية والأيدولوجية عبر مواقف الشخصيات، وكذا أحداث التحقيق في الجريمة والتي كانت مدينة وهران مسرحاً لها، مما نتج عنه تشكيل روائي متميّز البنية الفنية، ومتفرد الأبعاد الدلالية والثقافية. وهذا ما فتح باب التأويل أمام القارئ.

5. قائمة المراجع:

1. أبادي الفيروز، (2008). *القاموس المحيط*، تحقيق أنس محمد الشامي وزكريا أحمد جابر، دار الحديث، القاهرة.
2. ابن منظور، (1990). *لسان العرب*، المجلد 14، دار صادر، ط1، بيروت.
3. أبو القاسم بن عمر الزمخشري، (1979). *أساس البلاغة*، دار المعرفة، بيروت.
4. أرندت حنة، (1992). *في العنف*، تر إبراهيم العريس، دارالساق، ط1، بيروت.
5. الشريف حبيبة، (2010). *الرواية والعنف. دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة*، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن.
6. بيرفيو، (د.ت). *العنف والوضع الإنساني*، إلياس نحلاوي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، د.ط، بيروت.
7. سمير الخليل، حطاب طانية، (2018). *دراسات ثقافية، الجسد الأنثوي. الآخر. السرد الثقافي*، دار ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، الشارقة/ بغداد.
8. سيدي محمد بن مالك، (2016). *جدل التخيل، والمخيل في الرواية الجزائرية*، ميم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر.
9. عبد الله الغدّامي، (2005)، *النقد الثقافي. قراءة في الأنساق الثقافية العربية*، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، المملكة المغربية.
10. عمارة لخص، (2019)، *رواية طير الليل. الحبر للنشر*، ط1، الجزائر.
11. فارنز فانون، (2015)، *معدّبو الأرض*، ترجمة. سامي الدروبي وجمال الأتاسي، مدارات للأبحاث والنشر، ط2، مصر.
12. محمد شوقي الزين، (2012)، *الذات والآخر. تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع*، منشورات ضفاف، ط1، بيروت.
13. محمد مفتاح، (2000)، *النص من القراءة إلى التنظير*، شركة النشر والتوزيع. المدارس، ط1، الدار البيضاء، المغرب.

14. مليكة حيمر، (2019)، تمثلات خطاب العنف في رواية الشمعة والدهاليز للطاهر وطار. دراسة في بنية المكان، مجلة العلوم الانسانية، المجلد 30، العدد 3، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر، 341.